المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

إعجاز الآيات الكونيّة في القرآن الكريم والسنّة النبويّة

الدكتور عمر حابس أحمد نوافلة
جامعة جدارا – الأردن
E-mail: omar_nawaflah@yahoo.com

الملخص

لقد أشار القرآن الكريم إلى الكون وما فيه من آيات عجيبة، وكشف عن بعض الظواهر الكونية، وأن الله سبحانه وتعالى ما أوجد هذه الآيات الكونية عبثًا، ودعا الإنسان إلى التفكر بها وسبر غور هذا الكون الشاسع، إذ هو الخليفة الذي اختاره رب العالمين، فلفت نظر الإنسان إلى اكتشاف هذه الأسرار، {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } (سورة يونس:100).

إن هذا الكون مشحون بالأسرار، وقد جاء العلم الحديث ليكشف أسرار الكون؛ ليكون سببًا في إيمان الكثير من الناس، ويعرف من يتفكر بهذه الآيات، أن هذا القرآن الكريم، ما هو إلا من عند الله، قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (سورة فصلت: 53).

الكلمات المفتاحية: إعجاز الآيات، الآيات الكونية

Abstract:

The Holy Quran mentioned the universe and its miraculous phenomenon, and reveled dome of them; as God found those verses in the universe for purposes; calling upon humans to think of it and explore this universe since they are the inheritors chosen by God, so, directing them to explore its secrets **(Say**: '**See** what is in the **heavens** and the **earth**!')
(Yunis: 100)

This universe is full of secrets, and modern science came to find those secrets to be a reason for some people believes, and know that this holy Quran is from God (Soon will We show them our Signs in the (furthest) regions (of the earth), and in their own souls, until it becomes manifest to them that this is the Truth. Is it not enough that thy Lord doth witness all things?) (Fussilat: 53)

Key words: Miracles of verses, cosmic signs

المقدّمة:

إن المتمعن في إعجاز القرآن الكريم، يجدها قد حوت الكثير من الآيات، التي تقرر حقائق علمية، سبقت العلم الحديث، ثم يكتشفها العلماء بعد ألفٍ وأربعمائة عام من نزول القرآن الكريم على سيّدنا محمد ρ،

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

وقد ثبت هذا في الدراسات الحديثة، وإن الدارس كتاب الله، والمتمعن في آياته، يجد أنه يدور حول الكثير من الحقائق العلمية في هذا الكون الحب الواسع.

دعا القرآن الكريم إلى التفكر في هذا الكون، وما فيه من إعجاز، قال تعالى: {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } (سـورة يونس: 101)، فدعانا القرآن الكريم إلى النظر في كل ما يحيط بنا، وإلى دراسة الكون دراسة تمعن وتفكر، فقال تعالى: "أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء" (سورة الأعراف: 185).

ولقد أشار القرآن إلى آيات معجزات في الكون، في السماء، والأرض، والجبال، والبحار، والأنهار، والجبال، والنجوم، والكواكب، والشمس، والقمر، فقال تعالى: {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } (سورة يونس: 101)، ودعا إلى التفكر بها وتدبرها.

يقول محمد سامي: (إنه الإعجاز، بل المعجزة الخالدة التي نزلت من السماء إلى الأرض؛ لتغير السبيل، وتفتح الفكر، وتحرك مغاليق العقول، {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } (سورة محمد: 24)، وكثيرًا ما تنتهي آيات الكتاب المبين بقوله تعالى أفلا تعقلون، أفلا تتذكرون، وكثير من هذه الآيات، تدفع صاحبها إلى التفكر، والتعلم، والبحث، والدراسة) [1].

المبحث الأول: تعريف الإعجاز في القرآن

يقول ابن منظور: (القرآن: التنزيل العزيز قرأه يقرَؤُه ويَقرُؤُه، الأخيرة عن الزجاج قرءًا وقراءة وقرآنًا، الأولى عن اللحياني فهو مقروء، أبو إسحاق النحوي يسمي كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه كتابًا وقرآنًا وفرقانًا، ومعنى القرآن معنى الجمع وسمي قرآنًا لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } (سورة القيامة: 17)، أي جمعه وقرائته، وقرأت الشيء قرآنًا: أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وقولهم ما قرأت هذه الناقة جنينًا قط أي لم يفطن رحمها جنينًا قط) [2].

يقول الزيات: (قرءًا وقرآنًا: جمعه وضمه بعضه على بعض) [3].

لا بد أن ندخل إلى تعريف القرآن، الذي هو مصدر الإعجاز، والذي أخذ الإعجاز من آياته، إذ وتعريفه يذكر إعجازه.

يقول الدكتور بكري شيخ أمين في تعريف القرآن: (هو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بوساطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس) [4].

ويقول محمد عبدالعظيم الزرقاني: (والقرآن الكريم كتاب ختم به الله الكتب، وأنزله على نبي ختم به الأنبياء، بدين عام ختم به الأديان، فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنهى إليه منزلة كل تشريع، وأودعه كل نهضة، وأناط به كل سعادة، وهو حجة الرسول وآيته الكبرى، يقوم في فم الدنيا شاهدًا برسالته، ناطقًا بنبوته، دليلًا على صدقه وأمانته) [5].

---

[1] العلي، الإنجاز العلمي، في القرآن الكريم، ص5.

[2] ابن منظور، لسان العرب، جزء1، ص128.
[3] الزيات، المعجم الوسيط، جزء2، ص722.
[4] شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ص11.
[5] الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، جزء1، ص258.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

فالقرآن الكريم معجزة تحدى الله بها كل الخلق، وعلى فصـــاحة العرب، وعلى ما كانوا عليه من بلاغة، فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، ولن يأتوا بمثله أبدًا، وهو المعجزة الخالدة، التي قال فيها رسول الله: " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشـر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا"[1]، وهو المعجزة الباقية، الخالدة إلى يوم القيامة، وسـيبقى التحدي قائمًا ما دامت نفس منفوسة، وسيبقى كلام الله فوق كل كلام، فهو يعلو ولا يعلى عليه.

تعريف الإعجاز لغة: يدور معنى الإعجاز في اللغة على الضـــعف، وعدم المقدرة، كما جاء في مصادرها.

يقول أبو بكر الرازي: (العجز: الضـــعف، ومعجزة بفتح الجيم وكســـرها، وفي الحديث : " لا تبت بدار معجزة"[2]، أي: لا تقيموا في بلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتعيش، وعجزة تعجيزًا :ثبطه ونسبه إلى العجز، والمعجزة واحدة معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) [3].

ويقول أبو منصور الأزهري: (قلت وفي معنى الإعجاز الفوت والسبق، ويقال: أعجزني فلان: أي فاتني، وقال الليث: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه..... من العجز: نقيض الحزم) [4].

الإعجاز اصـــطلاحًا: يقول مناع القطان: (المراد بالإعجاز هنا: إظهار صـــدق النبي ρ في دعوى الرسالة، بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة – وهي القرآن – وعجز الأجيال بعدهم. والمعجزة: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة) [5] .

فلقد تحدى الله سبحانه وتعالى الخلق، على أن يأتوا بعشر سور، فما استطاعوا، قال تعالى: { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ } (سورة هود: 13)، وعلى بلاغتهم وفصاحتهم فقد ظهر عجزهم، وما اســتطاعوا، ثم تدرج رب العزة معهم في التحدي، وتنزل آية أخرى تتحداهم أن يأتوا بســورة من مثله، ويظهر عجزهم كذلك، قال تعالى: { وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ } (سورة البقرة: 23). فانظر إلى هذا التحدي، وانظر إلى ذلك العجز منهم.

المبحث الثاني

ثبوت الإعجاز في القرآن والسنة

يقول الإمام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي: (واعلم أن النبي ρ تحدى العرب قاطبة في القرآن، حين قالوا افتراه، فأنزل الله عزّ وجل: { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ } (سورة هود: 13). فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور تشاكل القرآن، قال تعالى: {فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ }، ثم كرّر هذا فقال: " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بســورة من مثله " (ســورة البقرة: 23)، أي من كلام مثله، وقيل من بشـــر مثله، ويحقق القول الأول الآيتان الســابقتان، فلما عجزوا عن أن يأتوا بســورة تشــبه القرآن، على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء، قال: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـــــذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } (سورة الإسراء: 88). فقد ثبت أنه تحداهم به، وأنهم لم يأتوا بمثله لعجزهم عنه) [6].

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، حديث رقم 7284، ص845.
(2) الشيباني، مسند الإمام أحمد، جزء3، حديث رقم 3047، ص159.
(3) الرازي، مختار الصحاح، ص198.
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، جزء3، ص2337.
(5) القطان، مباحث في علوم القرآن، ص17.
(6) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص95.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

فذكر الله سبحانه وتعالى أن القرآن هو المعجزة الخالدة، التي نزلت على سيدنا محمد ρ، كما كانت للرسل معجزات، كمعجزة الناقة لسيدنا صالح، ومعجزة العصا لسيدنا موسى، ومعجزة إحياء الموتى، ومعجزة إبراء الأكمه والأبرص، لسيدنا عيسى، وغيرها من المعجزات لباقي الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ {50} أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ } (سورة العنكبوت: 50-51).

فذكر لنا رب العزة أن القرآن يكفي كمعجزة، وحقًا كفى بها من معجزة، أخرست بلغائهم وفصحائهم، مع أنهم كانوا حريصين على أن يسكتوا رسول الله ρ، وأن يجعلوه يترك دعوته، فلو استطاعوا لما توانوا في ذلك أبدًا.

يقول الإمام جلال الدين السيوطي: (ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله معجزة، لم يقدر أحد على معارضته بعد تحديهم بذلك، قال تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ } (سورة التوبة:6)، فلولا أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجه إلا وهو معجزة، وقال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ {50} أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ }(سورة العنكبوت: 50-51) فأخبر أن الكتاب آية من آياته كافٍ في الدّلالة، قائم مكان مقام غيره، وآيات من سواه من الأنبياء، ولما جاء به النبي ρ إليهم، وكانوا أفصح الفصحاء، ومصاقع الخطباء، تحداهم على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طوال السنين فلم يقدروا، كما قال تعالى: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ } (سورة الطور:34)) [1].

وعلى أن العرب كانت عندهم الفصاحة والبلاغة، وهم أهلها، إذ كانت تعقد عندهم المؤتمرات العربية، والأسواق الشهيرة، كسوق عكاظ التي كان يجتمع إليها فطاحل الشعراء، ونوابغ الأدباء، وأصحاب القول البليغ ليعارض بعضهم بعضًا، ويقول كل ما عنده، فعلى بلاغتهم تلك، إلا أنهم وقفوا حيارى حيال ذلك التحدي العجيب، وما ملكوا أن يجيبوا أو يردوا عليه، بل تضاءلت مقدرتهم، وخارت قواهم أمام هذه المعجزة الربانيّة العظيمة.

يقول مناع القطان: (ومثل هؤلاء مع توفر دواعي اللسان وقوة البيان، التي يوقدها حماس القبيل، ويؤججها أتون الحمية، لو تسنى لهم معارضة القرآن الكريم لأثر عنهم ذلك، وتطاير خبره في الأجيال، فالقوم قد تصفحوا آيات الكتاب، وقلبوها على وجوه ما نبغوا فيه من شعر ونظم، فلم يجدوا مسلكًا لمحاكاته، أو منفذًا لمعارضته، بل جرى على ألسنتهم الحق الذي أخرسهم عفو الخاطر، عندما زلزلت آيات القرآن الكريم قلوبهم) [2].

وكما عرفنا أن العرب هم أهل الفصاحة والبلاغة، ويميزون قول البشر من غيره، فقد بعثوا عتبه بن المغيرة، وقد كان عالمًا بالكهانة والشعر لمفاوضة رسول الله ρ ليرجع عما يقول، وجاء عتبه إلى رسول الله ρ ليرجع مفاوضًا، فقرأ عليه رسول الله ρ قوله تعالى: حم {تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {2} كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {3} بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ {4} وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ {5} قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ {6} الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم

(1) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، جزء2، ص168.
(2) القطان، مباحث في علوم القرآن، ص260.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ {7} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـــالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ {8} قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ {9} وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِـــيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ {10} ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ {11} فَقَضَـاهُنَّ سَـبْعَ سَـمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَـابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {12} فَإِنْ أَعْرَضُـوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ } (سورة فصلت:1-13).

فلما سـمعها عتبه صـعق خوفً ووضـع يده على يد فم الرسـول ρ، قائلًا: ناشـدتك الرحم أن تقف، ورجع إلى قومه ليعترف بصدق القرآن، وأنه من عند الله لا من عند بشر، ثم قال: والله لقد تعلمون أني أكثر قريش مالًا، ولكنني لما قصصت عليه القصة، أجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، ثم تلا عليهم ما سمع إلى قوله تعالى: {..... فَإِنْ أَعْرَضُـوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـاعِقَةً مِّثْلَ صَـاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ } (سورة فصلت13). فأمسكت بفيه، وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب، فوالله لقد خفت أن ينزل عليكم العذاب[1].

يقول الدكتور عبدالحسـيب طه حميدة: (يحتار المشـركون في أمر هذا الدين الجديد، الذي قام به محمد ρ، ففرق شملهم، وشتت وحدتهم، وهز عقيدتهم في النفوس، فيتشاورون فيما بينهم، ويرسلون إلى رسول الله ρ الوليد بن المغيرة – عظيم مكة – ليتفاهم معه، ولكن الوليد العربي يذهب إلى رسول الله، فيسمع القرآن، فيرجع إلى قومه ليقول: (إن عليه لحلاوة، وإن فيه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، ما يقول هذا بشر، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه)) [2].

فهذه شـهادة الوليد بن المغيرة – عدو الله – في كلام الله، قالها عندما تجرد من هواه، فما ملك حيال ما سـمع من فصـاحة القرآن وبلاغته، إلا أن يشـهد الحق، ويعترف بما هو الصـواب، وقد أثر من أقوال الفصـحاء والبلغاء، ما يقرّ ويعترف بأن هذا القرآن من عند رب العالمين، وما هو بقول بشـر، بل وحتى أعداء الله يقرون بإعجازه، وجزالة ألفاظه، وقوة بيانه، وأن البشـر مهما أوتوا من البيان والفصـاحة، فلن يصلوا لمثله أبدًا.

ثم يقول الدكتور عبدالحسـيب طه حميدة: (فقد أثبت نقاد الأدب، ما بين القرآن ومأثور الكلام – من نثر وشعر من البون الشاسع، والأمد لطويل، وظل ذلك موجودًا في جميع العصور الأدبية حتى اليوم، وفي الحديث الشريف: " فضل كلام الله على كلام خلقه، كفضل الله على خلقه")[3].

.... قالوا سمع أعرابي قول الله تعالى: { فَلَمَّا اسْـتَيْأَسُـواْ مِنْهُ خَلَصُـواْ نَجِيًّا} (سـورة يوسـف: 80)، فقال: أشهد مخلوقًا لا يقدر على هذا الكلام، وسمع أعرابي يقرأ: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } (سورة الحجر: 94)، فسجد وقال: سجدت لفصاحته[4].

إن الفطرة السليمة تتقبل ما جاء به القرآن الكريم، لذا عندما كان أهل البادية وأهل الفصاحة يسمعون كلام الله، يعترفون بعظمته وأنه جاء من عند عظيم، إلا أن يكابروا ويستكبروا، أما من يذعن إلى الحق فإنه

(1) حجازي، التفسير الواضح، جزء3، ص232.
(2) حميدة، مع القرآن في آدابه ومعاملاته، ص16.
(3) الحاكم، مستدرك، فضائل القرآن، حديث رقم 752، ص319.
(4) حميدة، مع القرآن في آدابه ومعاملاته، ص16.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

يرضى ويقرّ أنه من عند الله كما اهتز قلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سمع أوائل سورة طه، ليدخل الإيمان شفاف قلبه ويعلن بعدها إسلامه.

(وهذا عمر بن الخطاب على شدته، ذهب مغضبًا ليقتل أخته، لما علم بإسلامها، فيفر من في البيت عند سماع صوته، وتقف أخته لمناقشته، فيرى صحيفة ملقاةً، فيتناولها فيقرأ فيها: طه { مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى {2} إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى } (سورة طه: 1- 3)،..... فيهتز لها قلبه، ويسلم نوره....ثم إنك لا تجد أبلغ من قوله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ {42} مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء } (سورة ابراهيم: 42- 43) [1].

وسيبقى الإعجاز قائمًا، ما تطور العلم وتغيرت معطيات الحياة، فكم من آيات الإعجاز التي آمن بها الأطباء، وقادتهم للدخول في دين الله أفواجًا، وكم من الآيات الكونيّة، التي تبين وجوه الإعجاز في الكون، قادت العلماء للاعتراف والتسليم بأن مقرر هذه الحقائق قبل ألف وأربعمائة عام هو رب الكون، وما هذا بقول بشر، لقد رأينا أن أهل الفصاحة والبلاغة واللغة عندما تجردوا من عنادهم قالوا مذعنين: وما هذا بقول بشر، وسيبقى الإعجاز كلما تقدم علم وجدّ جديد، ولا يملكون حيال ما جد إلا أن يسلموا مذعنين لله رب العالمين، أو يعاندوا عنادًا كما عاند اللذين من قبلهم، وجحدوا بها بعد أن استيقنتها أنفسهم.

يقول مناع القطان: (وعجز العرب عن معارضة القرآن، مع توفر الدواعي، والإعجاز لسائر الأمم على مر العصور، ولا يزال في موقف التحدي شامخ الأنف، فأسرار الكون التي يكشف عنها العلم الحديث، ما هي إلا مظاهر للحقائق العليا، التي ينطوي عليها سرّ هذا الوجود في خالقه ومدبره، وهو ما أجمله القرآن وأشار إليه- فصار بهذا معجزة للإنسانية كافّة) [2].

المبحث الثالث

وجوه إعجاز الآيات الكونيّة

القرآن الكريم هو معجزة سيدنا محمد ρ الخالدة، والذي تحدى الله به كل الخلق أن يأتون ولو بسورة واحدة من مثله، قال تعالى: " قل فأتوا بسورة من مثله" (سورة البقرة: 23)، بل وتحداهم أن يأتوا بحديث مثله قال تعالى: {فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ } (سورة يونس:34)، فما استطاعوا ولن يستطيعوا لقوله تعالى: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } (سورة الإسراء:88)، فهو المعجزة الباقية ما بقيت الدنيا، فمهما تطور العلم، ومهما حل في الدنيا من اكتشافات سيبقى القرآن رمز الإعجاز في ما يكتشف البشر، ويصلون إليه من نتائج.

وقد ذهب العلماء في وجوه إعجاز القرآن مذاهب شتى، وأقوال عدة، كل ينظر من منظاره الذي يراه، ولربما من منظار برع فيه، فبعد أن يتوغل دارسًا لآيات القرآن الكريم، يطبق تخصصه مبينًا وجهًا إعجازيًا من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ومن هذه الآراء ما هو فاسد رد عليه العلماء بشده، ومنها ما هو صحيح مقبول، ولكن الباحث يرى أن إعجاز القرآن الكريم لا يقف عند وجه واحد من الوجوه، بل إعجازه في وجوه عدة، كلها تظافرت وتعاضدت؛ لتعطي كتاب الله إعجازًا خالدًا، ما دامت السماوات والأرض.

وهذه بعض الآراء في وجوه إعجاز القرآن الكريم:

أولًا: إعجازه التاريخي الماضي والمستقبلي والغيبي:

[1] حميدة، مع القرآن في آدابه ومعاملاته، ص37.
[2] القطان، مباحث في علوم القرآن، ص26.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

يقول الشـيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني: (أنباء الغيب فيه ومعنى هذا أن القرآن اشـتمل على أخبار كثيرة من الغيوب، التي لا علم لمحمد ρ بها، ولا سـبيل لمثله أن يعلمها، مما يدل دلالة بينة على أن هذا القرآن المشـتمل على تلك الغيوب، لا يقل أن يكون نابغًا من نفس محمد ولا غير محمد من الخلق، بل هو علاّم الغيوب وقيوم الوجود الذي يملك زمام العالم: { وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ} (سورة الأنعام: 59))[1].

(وفي ذلك قصـص من الماضـي البعيد، المتغلغل في أحشـاء القدم، وقصـص من الحاضـر الذي لا سبيل لمحمد إلى رؤيته ومعرفته، فضلاً عن التحدث به وقصص عن المستقبل الغامض الذي انقطعت دونه الأسباب وقصرت عن إدراكه الفراسة والألمعية والذكاء، وسر الإعجاز في ذلك كله أنه وقع كما حدث وما تخلف، وجاد على النحو الذي أخبر به في إجمال ما أجمل، وتفصـيل ما فصّـل، وأنه إن أخبر عن غيب الماضي صدقه ما شهد به التاريخ، وإن أخبر عن غيب الحاضر صدّقه ما جاء به الأنباء، وما يجدّ في العالم من تجارب وعلوم، وإن أخبر عن غيب المستقبل صدّقه ما تلد به الليالي، وما تجيء به الأيام) [2] .

أمّا إعجاز القرآن في ذكر الماضـي فواضـح، حيث أن القرآن الكريم ذكر قصـص الأمم السـابقة في القرآن الكريم، وهذا ما كان سيدنا محمد ρ يعرف به أبدًا، فقد قال تعالى: { تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا} (سورة هود: 49)، فقد أخبر القرآن عن قصة آدم عليه السّلام وولديه قابيل وهابيل، وقصة موسى وعيسى عليهم السلام، فقد قال تعالى: {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ } (سورة القصص: 44).

يقول الدكتور عبدالعظيم ابراهيم محمد المطعني: (وبعض هذه القصـص ورد في التوراة، لكن القرآن اختص بإيراد قصـص لم ترد في التوراة، وليس لها مصـدر تاريخي سـوى القرآن، مثل قصـة هود وقصة صالح، وقصة لقمان وقصة أهل الكهف، وقصة ذي القرنين) [3].

إن الإخبار عن قصص الماضين في القرآن الكريم، من الغيب الذي استأثر رب العزة بعلم بعضه، وإن اطّلع البعض على بعض هذه الأخبار، إلّا أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن بعض الأخبار أن الله استأثر بعلمها، فقال رب العزة عن قصص بعض الأنبياء السابقين: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ } (سورة غافر: 78).

إذًا فالقصص نوعان:

أوّلهما: نوع له مصدر تاريخي سوى القرآن، كالتوراة، مثل قصة آدم عليه السلام.

ثانيهما: نوع ليس له مصدر تاريخي سوى القرآن، كقصص هود وصالح وقصتي لقمان وأهل الكهف، وفي كلا النوعين ينفرد القرآن بخاصيّة فريدة، هي الصدق، ومطابقة القصة الواردة فيه للواقع) [4].

(وقد ذكر قسـم من العلماء كالباقلاني والرماني وابن حزم، أنه أخبر عن أخبار لا يعلم بها إلا رب العالمين، كإخبار القرآن الكريم عن فتح مكة، وإخبار القرآن الكريم عن انتصار الروم على الفرس في بضع سنين، بل وتحديد الموقع: " في أدنى الأرض"، وهي منطقة البحر الميّت كما يقول بعض المفسرين، وقوله

(1) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، جزء2، ص307.
(2) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، جزء2، ص308.
(3) المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، جزء1، ص129.
(4) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، جزء2، ص308.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

فـــــــــــــــي أهـــــــــــــــل بـــــــــــــــدر: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ }(سورة القمر: 45)، وغيرها كثير) [1].

يقول الإمام بدر الدين الزركشي، ناقلًا وجهًا قيل من وجوه إعجازه: (ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبليّة، ولم يكن ذلك من شأن العرب، كقوله تعالى: { قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ} (سورة الفتح: 6)، وقوله في أهل بدر: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ } (سورة القمر:45)، وقوله: { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا} (سورة الفتح: 27)، وكقوله: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ } (سورة النور: 55)، وقوله: {الم {1} غُلِبَتِ الرُّومُ } (سورة الروم: 1- 2)، وغير ذلك مما أخبر أنه سيقع ووقع) [2].

وقد ردّ هذا القول أيضًا كذلك بعض العلماء، منهم الزركشي، بحجّة أن ذلك يستلزم أن الآيات القرآنيّة التي لا خبر فيها لا إعجاز فيها، فقالوا- إذن هو باطل، ولكن الباحث يرى أن هذا الرأي صحيح، فإعجاز القرآن الكريم لا يقتضي وجهًا واحدًا فقط مجتمعًا في كل الآيات القرآنية، نعم أن هناك وجه فصاحة ألفاظه، وهذا الوجه في كل كلام الله تعالى، ولكن هذا لا يمنع أن تجتمع وجوه أخرى في آيات محددة من كتاب الله، تبين وجوهًا عدّة كهذا الوجه، وهو الإخبار عن غيبيات لا يعلمها إلا الله، وآيات أخرى تخبر عن وجه ثاني من وجه الإعجاز، وآيات غيرها تحمل وجها ثالثًا من وجه الإعجاز، كما سنرى في وجوه أخرى للإعجاز.

ألا يعتبر من إعجاز القرآن أن تذكر بعض الآيات القرآنية حديثًا سيحصل بعد عدّة سنوات، ويحدد القرآن المدّة الزمنيّة بالتحديد، كقوله تعالى: { الم {1} غُلِبَتِ الرُّومُ {2} فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ {3} فِي بِضْعِ سِنِينَ } (سورة الروم: 1-4).

ثم إن إعجاز هذه الآيات لا يعني أن غيرها غير معجز، لأن غيرها يحتمل وجوهًا أخرى من وجوه الإعجاز، ووجوه الإعجاز كثيرة، ويجتمع القرآن الكريم وجهًا لكل حرفٍ من حروفه بعد هذه الوجوه جميعها، وهو وجه فصاحة ألفاظه ونظمه وصحّة معانيه، على أن لا نقصر الإعجاز على هذا الوجه فقط، وإن قُصر على هذا الوجه فقط فهو باطل كسابقه من القول.

ثانيًا: وذهب قسم من العلماء إلى أن إعجاز القرآن يكون بإشاراته العلمية.

وهذا وجه مهم؛ لأننا بصدد الحديث عنه والبحث فيه، وقد جاء الفصل السابق عن أصل خلق الإنسان، ورأينا كيف فصّل القرآن الكريم، بما لا يدع مجالًا للشك في أصل خلق السماوات والأرض، وأن الكون كان دخانًا، كما وتحدّث القرآن عن قضية فتق السماء عن الأرض بعد أن كانتا كتلةً واحدةً.

يقول الدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: (فقد ورد في مواضع مختلفة حديث القرآن عن المعارف الكونية، والعلوم الطبيعيّة والإنسانيّة كالطب وعلم النفس، وقد جاء القرآن بإشارات منذ عهد طويل، وتلاحقت بعده الكشوف العلميّة، على نحوٍ لم يختلف عمّا أشار إليه القرآن الكريم منذ قرون طويلة، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ {11} فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا } (سورة

[1] متولي، إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، ص234.
[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص95.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

فصِّلت: 11- 12)، وقد رجع بعض المفسرين بالنظرية السديمية إلى هذه الآية؛ لأنها أبانت أن السماء قبل تكوينها كانت دخانًا) [1].

وكم من الحقائق العلمية التي توصّل إليها العلماء في القرن العشرين، وما توصلوا إليها إلا بعد جهودٍ مضنية، وكان القرآن الكريم قد تطرق لذكرها لو تمعنّا فيها، وصدق الله إذ يقول: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ } (سورة الأنعام: 38).

ثالثًا: ذكر بعض العلماء وجهًا من وجوه إعجاز القرآن الكريم: أنه أخبر عمّا يدور في الضمائر.

وهذا وجه من وجوه إعجازه، فقد قال تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ } (سورة غافر: 19)، وما من شيء في السماوات والأرض إلّا ويعلمه الله، وقد كشف القرآن أسرار المنافقين، وما يختلج في صدورهم، وبيّن صفات اليهود من الجبن والحرص على الحياة والغدر، وأن قلوبهم شتى، وغيرها الكثير.

قال الإمام بدر الدين الزركشي: (إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل، كقوله: { إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ } (سورة آل عمران: 122)، وقوله: {وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ } (سورة المجادلة: 8)، وقوله: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ } (سورة الأنفال: 7)، وكإخباره أن اليهود لا يتمنون الموت أبدًا) [2].

المبحث الرابع

آيات تبين وجوه الإعجاز في قضايا كونية

للقرآن الكريم السبق في بيان حقيقة الكون وتفسير ظواهره، فقد جلّت آيات القرآن الكريم ظواهر الكون بالتفصيل، وبيّنت حقائقها بعد حقل من التيه والضلال، عاشه الإنسان في تفسير ظواهر الكون، بل وفي تفسير حقيقة الإنسان ذاته، فقد كان الاعتقاد قديمًا أن الإنسان ما هو إلّا نتيجة تطورات حصلت له من مخلوق آخر وهو القرد، وبقي يتطور مع الزمن حتى أخذ شكله الحالي.

وبقي هذا الاعتقاد ردحًا من الزمن، حتى جاء القرآن الكريم، وبيّن أصل خلق الإنسان، وأن الله سبحانه وتعالى كرمه وفضله، وخلقه في أحسن تقويم، لتبطل الآيات القرآنية كل الضلالات التي كانت تقال في أصل الإنسان، والتي ما بينت على أساس سليم.

وكذلك الحال بالنسبة للكون وخلق السماوات والأرض، فقد كان الاعتقاد أن السماء صفحة صافية، والنجوم عبارة عن مسامير فضة تتلألأ فيها، فعندما أخبر الله سبحانه وتعالى عن بطلان معتقداتهم هذه، عندما قال: {مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا } (سورة الكهف: 51).

فقرر القرآن الكريم حقيقة ثابته، توصل العلم إليها بعد أربعة عشر قرنًا ألا وهي قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا } (سورة الأنبياء: 30)، وقد وردت هذه الآية في فصل سابق، مبيّنة أن السماء والأرض كانتا كتلة واحدة ثمّ فصلت، وكقوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } (سورة

[1]) المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، جزء1، ص133.
[2]) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، جزء2، ص97.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

فصلت: 11).

فقد ذكرت الآية أن أصل الكون كان عبارة عن كتلة من الدخان.

وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تبين حقائق ثابته في الكون، وجاء العلم الحديث ليكشف عنها مؤخرًا، وليكون بذلك إعجازًا للقرآن الكريم الذي سبق العلم الحديث بتقرير هذه القضايا الكونيّة بألف وأربعمائة عام، كما وفي ذلك دليل واضح يبين قدرة الله في الكون، قال تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك على كل شيء شهيدًا" (سورة فصلت: 53)، فمن هذه الآيات:

أولاً: في السماء

قال تعالى: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } (سورة الذاريات: 47)، وهل هناك غموض في هذا الإشارة الكونيّة من الآية القرآنيّة الكريمة من كتاب الله؟ فهي تبين بجلاء ووضوح أن الكون في حالة اتساع وتمدد، وهذا ما قرره القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنًا، ولم يكن يوم ذاك علم بما في السماوات عند البشر بل كان الناس قبل ذلك في جهل عميق، لا يعرفون أقطار الأرض فضلًا عن معرفة حال السماء، ثم يأتي كتاب الله ليبيّن أن الكون في حالة تمدد توسع مستمر، وذلك قوله تعالى: { وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } (سورة الذاريات: 47).

يقول الدكتور زغلول راغب النجار: (وهذه الآيات الكريمات تشير إلى أن الكون الذي نحيا فيه يتسع باستمرار، وأننا إذا عدنا بهذا الاتساع إلى الوراء مع الزمن، فلا بد وأن يتكدس على هيئة جرم واحد " مرحلة الرتق"، وهذا الجرم الابتدائي انفجر بأمر الله "مرحلة الفتق"، فتحول إلى سحابة من الدخان " مرحلة الدخان "، خلقت منه الأرض والسماوات " مرحلة الإتيان"، وأن الكون منذ لحظة انفجاره ظل في توسع مستمر) [1].

لقد كان علماء الفلك قبل اكتشاف عملية توسع الكون يقولون أن الكون ثابت، وكم من القضايا التي بقي العلم يقول فيها قولًا خاطئًا ردحًا من الزمن، ولكن آيات الله ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، تقول عكس ما كانوا يقولون، وكم كان بعض العلماء يكابرون بأقوالهم تلك، ولكن الباطل عمره قصير، فما هي إلا فترة زمنية إلا ويظهر الحق، وتبقى كلمة الله هي العليا، وبقي علماء الفلك حتى بداية القرن العشرين يقولون أن الكون ثابت، حتى جاء اكتشاف هابل الذي يقول فيه أن الكون ليس ثابتًا بل هو في توسع مستمر.

يقول الدكتور منصور محمد حسب النبي: (وقانون هابل ظاهرة تستدعي الانتباه.... عليك أيها القارئ أن تفكر في مفهومها.... كل المجرات تتباعد عنا.... كلما ابتعدت المجرات.... ازدادت سرعة ارتدادها عنا وهذه ظاهرة تدعى تمدد الكون.... إنها ظاهرة مثيرة لدهشتنا، فلماذا يتوسع الكون ويتمدد؟ ولماذا يبتعد عنا؟! وهل هذا يعطينا نحن سكان الأرض موقعًا فريدًا؟ كلّا إنك لو نفخت بالونًا مرسومًا عليه عدة نقاط فإن هذه النقاط سوف تتباعد عن بعضها أثناء انتفاخ البالون وكل نقطة تنظر إلى النقط الأخرى وهي تتباعد عنها وبالمثل فالمجرات تتباعد عن بعضها أثناء تحركها في الكون الذي يشبه البالون المنتفخ وبهذا فإن الكون يتوسع ويتمدد) [2].

لقد تتبع العلماء الكثير من الآيات الكونية في القرآن الكريم والسنة النبوية، ووصلوا إلى حقائق أدهشت العالم، ليكون ذلك أكبر الأدلة على أن الكون الذي يسير بهذا النظام الدقيق ما هو إلا بتسيير من رب

(1) النجار، السماء في القرآن الكريم، ص82.
(2) حسب النبي، القرآن الكريم والعلم الحديث، ص300.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

العالمين، وقادهم علمهم إلى أنه لا بد لهذا الكون من مكون، فكان ذلك دلالة واضحة أن القرآن الكريم الذي أشار إلى هذه الآيات الكونية ما هو إلا من عند رب العالمين.

يقول الدكتور منصور محمد حسب النبي: (ويمكن كمقابلة هذه الظاهرة العلميّة الحديثة بالآية القرآنية التالية، التي تشير بوضوح إلى تمدد الكون كما في قوله تعالى: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } (سورة الذاريات: 47)، .... وبهذا يتبين لنا أن تمدد الكون أمر مشار إليه في القرآن الكريم، في آية موجزة في التعبير، ومتفقة مع معطيات العلم الحديث، ومثل هذه الآيات القرآنية المتعلقة بخلق الله في الكون، والتي نزلت منذ أربعة عشر قرنًا، تدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم وحي من عند الله، وليس من تأليف البشر) [1].

ثانيًا : حركة الأرض والليل والنهار

قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (سورة البقرة: 164)، هذه إشارة قرآنية إلى دوران الأرض، وأنها تتحرك وليست ثابتة وساكنة، وكما أن هذا الاعتقاد سائدٌ منذ القدم، إلا أن القرآن الكريم أشار إليها بدقة فائقة، فقد عبر عن الحركة للأرض، بقوله تعالى: {وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} في هذه الآية وبقوله تعالى في موضع آخر: {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا} (سورة الأعراف: 54) وبقوله في موضع آخر: {يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ } (سورة الزمر: 39)، فالليل والنهار هما نتيجة حركة الأرض حول نفسها.

يقول الدكتور عبدالله شحاته نقلاً عن كتاب موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: (إن الشمس تضيء بشكل دائم نصف الكرة الأرضية، الذي يقع أمامها، على حين يظل النصف الآخر مظلمًا، وقد رأى رواد الفضاء هذا وصوروه من مركباتهم الفضائية، وخاصّة على بعد بعيد عن الأرض..... من على القمر مثلًا، وبدوران الأرض حول نفسها حيث تضل الإضاءة ثابته، فإن المنطقة المضاءة منها وهي على شكل نصف كروي، تؤدى في أربعة وعشرين ساعة دورتها حول الأرض، على حين يتم النصف الآخر المظلم في نفس الوقت نصف الرحلة، والقرآن يكشف بشكل كامل هذه الدورة، التي لا تكف أبدً في النهار والليل، وهي اليوم يسيرة على الإدراك الإنساني، فنحن نملك اليوم خبرة عن ثبوت الشمس، وعن دورة الأرض هذه العمليّة الدائمة في التكور مع الولوج المستمر لقطاع في آخر، يعبر القرآن عنها وكأن اكتشاف استدارة الأرض كان قد تم في عصر تنزيل القرآن، وبالطبع لم يكن هذا قد حدث بعد) [2].

وهنالك العديد من الآيات القرآنية، تشير إلى حركة الأرض، منها ما هو بجلاء وبوضوح، كما في قوله تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ } (سورة النمل: 88).

---

[1] المرجع السابق، ص301.
[2] شحاته، تفسير الآيات الكونية، ص70.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

يقول الدكتور محمد محمود حجازي: (وبعض العلماء يقول في قوله تعالى: " وترى الجبال تحسبها جامدة" أن ذلك في الدنيا، وهذا دليل على دوران الأرض حول الشمس بسرعة فائقة، وتلك نظرية علمية ثابتة) [1].

فالجبال حركتها ليست ذاتية، لأننا ما رأينا جبلًا انتقل من مكانه ولو لأمتار، ولا سمعنا بهذا أبدًا، وما تحدث عنه أحد، فالجبال ثابتة ذاتيًا، ولكن حركتها ومرورها كما عبّر عنه القرآن، هو حركة الأرض ذاتها، فبحركة الأرض تتحرك الجبال، ولا يلمسه من يكون عل الأرض، لأنه يتحرك كذلك مع حركة الأرض، فالجبال جزء من الأرض، تتحرك بحركتها وقد فسر العلماء ذلك بحركة الأرض، لا حركة الجبال.

يقول الدكتور محمد باسل الطائي: (تدور الأرض حول نفسها مرة كل أربع وعشرين ساعة تقريبًا، أي أن سرعتها حول نفسها تبلغ حوالي 1674 كيلو متر في الساعة، كما تدور حول الشمس في فلك بيضوي، بسرعة هائلة تبلغ أكثر من مائة ألف كيلو متر في الساعة، فهي تطوف بمن عليها كأنها طائرة سريعة جدًا، دون أن نشعر بذلك) [2] .

ثالثًا: انشقاق القمر

لقد حصلت معجزة لسيدنا محمد ρ، طلبها منه كفار قريش، دليلًا شاهدًا على صدق نبوته، وهي أن يشق لهم القمر نصفين، وأن يروا ذلك بأم بأعينهم، وقد وقع ذلك فعلًا لسيدنا محمد ρ، كما طلبوا، وذلك قبل الهجرة.

يقول شهاب الدين الخفاجي: (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ρ، أي في زمانه وحياته، والعهد يأتي بهذا المعنى كما في القاموس وغيره، وذكره للرد على من يقول: إنه سيكون بعده يوم القيامة، " فرقتين " بمعنى قطعتين، والمراد نصفين وانتصابه على المصدرية، من معنى انشق " فرقة فوق، الجبل وفرقة دونه"..... الجبل حراء أو أبو قبيس.... فقال رسول الله ρ " اشهدوا " [3]، إنما قال رسول الله ρ ذلك بأن المشركين اجتمعوا إليه ρ، فقالوا: إن كنت صادقًا فشق لنا القمر فلقتين، فقال لهم: "إن فعلت تؤمنوا "، قالوا: نعم، فسأل ربه أن يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فلقتين، ورسول الله ينادي: يا فلان يا فلان اشهدوا، وذلك بمكة قبل الهجرة) [4] .

وقد ثبتت هذه المعجزة في عصرنا الحديث، عصر العلم والفضاء؛ لتبقى شاهدًا حديثًا آخر على صدق ما جاء به القرآن الكريم، هذه المعجزة التي حصلت لسيدنا محمد ρ قبل ألف وأربعمائة عام، يثبتها العلم الحديث، مفتخرًا بها، معتزًا بما توصل إليه.

المبحث الخامس: التصوير الفني لمشاهد الطبيعة في القرآن الكريم

إن القرآن الكريم هو كلام الله وهو من عند رب الناس، العليم بما في نفوسهم وبما يصلح أحوالهم، فإذا تأملت في آيات القرآن الكريم، فإن سمعك وبصرك وفؤادك وكل حواسك تشد للقرآن، لما حوته آياته من

(1) حجازي، التفسير الواضح، جزء2، ص810.
(2) الطائي، خلق الكون بين العلم والإيمان، ص33.
(3) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 3637، باب المناقب، ص428.
(4) الخفاجي نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، جزء3، ص474.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

البلاغة والفصاحة، وروعة التصوير، فإذا ما صور القرآن الكريم مشهدًا من المشاهد الكونية، أو غير الكونية، فكأنما يصور لك المشهد أمام ناظريك، تنظر أحداثه، وتراقب مشاهده وتحركاته، وكأنه رأي العين.

يقول سيد قطب عليه رحمة الله: (التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسّة، المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعني الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة) [1].

إن الصور الجمالية في القرآن الكريم، تجعل القارئ والسامع لكتاب الله يستشعر عظمة قائله، فهي تنقل الحدث إليك وكأنك تعايشه، وإذا شئت فتمعن في آيات الجنة والنار مثلًا، فإن القرآن إذا ما تحدث عن النار وكأنها رأي العين، يصفها ويبين أهوالها وحال أهلها، وإذا ما تحدث عن الجنة، وكأن السامع ينظر إليها بنعيمها، وما أعد الله سبحانه وتعالى فيها، وكذلك كل حديث القرآن، يجد المتأمل فيه خصائص جمالية، وصور إبداعية، لا توجد في غيره من الكلام أبدًا، مهما نمّقه قائله وحسّنه.

إن رائد فكرة التصوير الفني في القرآن الكريم، هو سيّد قطب عليه رحمة الله، وقد سار على هذا المنهج في تفسيره المشهور " في ظلال القرآن "، فتجد تفسيره عليه رحمة الله، يزخر بالصور الفنية، غني بالتعابير الجمالية، وخاصة في ما يتعلق بالآيات الكونية، وانظر كيف يبدع في بيان الصورة الفنية للكون والطبيعة في قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (سورة البقرة: 64).

يقول سيد قطب عليه رحمة الله: (وهذه الطريقة في تنبيه الحواس والمشاعر، جديرة بأن تفتح العين والقلب، على عجائب هذا الكون، العجائب التي تفقدنا الألفة جدتها وغرابتها وإيحاءاتها في للقلب والحس، وهي دعوة للإنسان أن يرتاد هذا الكون، كالّذي يراه أول مرة مفتوح العين، متوفر الحس، حي القلب، وكم في هذه المشاهد المكروهة من عجيب، وكم فيها من غريب، وكم اختلجت العيون والقلوب وهي تطّلع عليها أول مرة، ثم ألفتها ففقدت هزة المفاجئة، ودهشة المباغتة، وروعة النظرة الأولى إلى هذا المهرجان العجيب) [2].

إن آيات القرآن الكريم تصور بوضوح تام الآيات الكونيّة، إلا ما دعت الحاجة الاشارة إليها، لحكمة أرادها الله، فإذا ما تأملت آيات القرآن الكريم في الكون، وكأنك تنظر إلى لوحة أمام عينيك، بكل تفاصيلها ودقائقها، تتمتع بهذه اللوحة الفنيّة، وهي في غاية الإتقان والإبداع.

وانظر وتفحص بعين القلب، وتمعن في قوله تعالى: {اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ {2} وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {3} وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ

(1) قطب، التصوير الفني في القرآن، ص36.
(2) قطب، في ظلال القرآن، جزء1، ص152.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (سورة الرعد: 2-4).

يقول صلاح عبدالفتاح الخالدي: (في هذه المشاهد تصوير حي معجز، ترسمه الريشة القرآنية على شكل لمسات تصويرية، لمسة في السماوات، حيث رفعت بغير عمد، لتبين العلو المنظور للناس، تجاورها وتنسّق معها لمسة تصويرية أخرى في العلو المطلق" ثم استوى على العرش"، ثم لمسة مصورة ثالثة في تسخير العلو المنظور إلى الناس حيث سخر الشمس والقمر، ثم تهبط الريشة القرآنية؛ لتخطط وجه الأرض خطوطًا تصويرية عريضة في لوحة مصورة، اللمسة الأولى فيها، هي الأرض ممدودة مبسوطة فسيحة، ثم ترسم خط الجبال الرواسي، وخط الأنهار الجارية في اللوحة، ثم ترسم خطوطًا كلية لما في الأرض، {وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} (سورة الرعد: 3) [1].

ثم المشـــهد المتحرك لليّل وهو يغشـــي النهار، ثم تخط هذه الريشـــة القرآنية المعجزة وجه الأرض، بخطوط جزئية أدق، اللمســـة الأولى فيها: " وفي الأرض قطع متجاورات " متعددة الشـــيات، ثم تأتي التفصـيلات بعد هذه اللمسـة: " وجنات من أعناب وزرع ونخيل صـنوان وغير صـنوان" هذه التفصـيلات الجزئية وهذه المغروسات تسقى بماء واحد، لكن الله يفضل بعضـها على بعض في الأكل، وكل مخلوق ذاق الطعوم المختلفة في نبت البقعة الواحدة.

بهذه الطريقة التصـويرية في التعبير، تكتسـب مشـاهد الطبيعة في القرآن، جدة باسـتمرار، وتأثيرًا في النفوس على الدوام).

ومن الصـــور الفنية في كتاب الله تعالى، التي يقابله رب العزة بمشـــاهد الطبيعة الرائعة، قوله تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ } (سورة البقرة: 265)، يا لها من صورة رائعة، ولوحة جميلة، يصورها كتاب الله، مبيّنًا حال المتصـــدق، الذي لا يبتغي من صـــدقته إلا وجه الله تعالى، فيشـــبه ذلك باللوحة الكونية الجميلة، لتلّة مرتفعة من جنان الدنيا، أنزل الله عليها المطر الغزير، فأنبت كلأها، وازداد ثمرها وطاب.

تخيل في ذهنك هذه اللوحة الجميلة، لتلك الربوة المرتفعة، وفيها نبات وزرع، والمطر ينزل فوقها بغزارة!! " فإن لم يصبها وابل فطل"، وهو القليل من الغيث، ولكن كونها ربوة مرتفعة، وأرض خصبة فهذا يكفيها، تمعن في هذا المشـهد الرائع من مشـاهد الطبيعة القرآنية، يصـوّره كتاب الله بدقة متناهية، مقابلًا فيه حال المتصدق، الذي لا يبتغي من صدقته إلا وجه الله.

ثم يقول سيد قطب في صورة رائعة جميلة، للتصوير الفني في آية كونية رائعة، في قوله تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ } (سورة الرعد: 14).

فيقول عليه رحمة الله: (وهي صورة تلح على الحس والوجدان، وتجتذب إليها الالتفات، فلا يستطيع أن يحول عنها إلا بجهد ومشقة، وهي من أعجب الصور التي تستطيع أظن ترسمها الألفاظ! شخص حي شـــاخص باســـط كفيه إلى الماء، والماء منه قريب، يريد أن يبلغ فاه، ولكنه لا يســـتطيع، ولو مد يده لربما استطاع) [2].

المبحث السادس

---

[1] الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، جزء2، ص212.
[2] قطب، التصوير الفني في القرآن، ص41

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

كيف نتعامل مع آيات الإعجاز في القرآن الكريم

لقد نزل القرآن الكريم معجزة للبشـــرية جمعاء، قال تعالى: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـــذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } (سورة الإسراء: 88)، فما من آية من آياته إلا وفيها من الإعجاز ما شـاء الله تعالى، ثم إن القرآن الكريم أخبر أن الإنسـان سـيكشـف من آيات الكون ما يجعله يقر ويعترف بإعجاز القرآن الكريم، قال تعالى: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَـــيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }(ســورة النمل: 93)، فقد أنزل الله ســبحانه وتعالى القرآن الكريم فيه بيان للناس، وليدلّهم على بعض شواهد الكون، فيعرفوا آيات الله تعالى فيه، وهذا هو الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

يقول الدكتور زغلول راغب النجار: (فالإعجاز العلمي يقصـــد به هنا: إثبات ســـبق القرآن الكريم بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الكون، أو تفسير ظاهرة من ظواهره، قبل وصول العلم المكتسب إليها، بعدد متطاول من القرون) [1].

فهذا هو الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وهو من وسائل الدعوة القوية في هذا العصر، وشاهد على أن القرآن صـــدق وحق قال تعالى: " ويرى الذين اوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صـراط العزيز الحميد" (سـورة سـبأ: 6). وتأتي أهمية الدعوة بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم في جملة من الأسـباب، أهمها أنه وفي هذه الأيام التي أصـبح المسـلمون بها في ذيل القافلة، ومؤخرة الركب، وقد تداعت عليها الأمم كما تتداعى الاكلة على قصـعتها، وقد أسـقط في أيدينا، وجردنا من قوتنا، ولم يبق لنا من وسـيلة ندافع بها عن أنفسنا، إلا ما تمسكنا به من كتاب ربنا، وسنة نبينا ρ.

وقد حوى هذان المصدران فيضًا غزيرًا من دلالات الإعجاز العلمي، ليبقى بذلك لنا سلاح نناضل به، وندافع به عن ديننا وكرامتنا، ثم إن عصر العلم اليوم، وعصر الابتكار والاكتشـاف، قائم على الدليل المادي الملموس، وكتاب الله وما فيه من آيات الإعجاز العلمي أكبر دليل، وخير شـاهد على صـدق ما فيه، وأنه من عند رب العالمين، فلا يمكن لذي لب أن يرى هذا الإعجاز العظيم لآيات الله، وهذه الحقائق الضـخمة، والتي وجدت أصـــولها في القرآن الكريم، إلا أن يقر أنها من عند رب العالمين، أو العناد الباطل، كما عناد أهل الجاهلية، بعد أن رأوا الآيات، واستيقنتها أنفسهم.

كم تدهش النفس والإنسـان يعلم بعد قرون طويلة، ويكتشـف ما قرّره القرآن الكريم من قضـايا علمية، تتعلق بمخلوقات الله، من البعوضـة والذبابة إلى الكون والمجرة!! وانظر إن شئت متدبرًا قوله تعالى: { وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} (سورة الحج: 73) .

إن أول ما يفهمه السامع لهذه الآية الكريمة، أن الذبابة إذا أكلت شـيئًا من طعامكم الناس لا يستطيع أحد أن يسـتخرج ما أكلت ولا يسـتطيع ردّه، وهذا معنىً صـحيح، ولكن لو سـأل شـخص: هل يسـتطيع العلم باكتشافاته وابتكاراته ومنجزاته وما فيه من تطور هائل مذهل أن يسترد هذا الذي أخذته البعوضـة من طعام الناس؟ ترى ما ستكون الإجابة؟

كم ستعجب حين تعلم أن العلم بتطوره لن يستخلص ما أخذته الذبابة، لا ولن يستطيع أن يعرف نوعه أبدًا، لتعرف أن العلم الحديث يكتشـــف أن الله جلت قدرته قد زود البعوضـــة بمادة خاصـــة، تحول ما دخل جوفها فورًا، بحيث تعجز كل فنون العلم الحديث عن إدراك نوع الطعام، فضـــلًا عن اســـتخلاصـــه!!! فحقًا

[1] النجار، الأرض في القرآن الكريم، ص72.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

عندما تقرأ هذا الخبر تردد قوله تعالى موقنًا مطمئنًا مرتاح البال: { وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} (سورة الحج: 73) .

ثم لا تملك بعدها إلا أن تردد قوله تعالى: {مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (سورة الحج: 74).

لقد ذكر القرآن الكريم فيضًا هائلًا من آيات الإعجاز العلمي، والتي ابتدأت من أصغر الخلق إلى أكبره في هذا الكون الرحيب، قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} (سورة البقرة: 26)، وضرب الله للناس الأمثال.

لقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى نهاية الكون، قال تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } (سورة الأنبياء: 104)، فمن أخبر سيدنا محمد ρ أن السماء ستعود كما بدأت، وقد ورد في نهاية الكون عدّة احتمالات ونظريات، منها ما يقول بانكماش الكون كما كان ابتدأ.

يقول زغلول راغب النجار: (الاحتمال الثالث: ويتوقع فيه العلماء تباطؤ سرعة الكون مع الزمن، وهي القوة الناتجة عن الانفجار العظيم، فكما أن الحرارة التي نتجت عن تلك العملية، والتي تقدر حسابيًا ببلايين البلايين من الدرجات المطلقة، لحظة الانفجار، والتي انخفضت اليوم إلى أقل قليلًا من الثلاث درجات مطلقة، فلا بد أن القوة الدافعة إلى الخارج، والمؤدية إلى توسع الكون قد تناقضت بنفس المعدل... .

ومع تباطؤ سرعة توسع الكون تتفوق قوى الجاذبية على قوى الدفع بالمجرات، للتباعد عن بعضها بعضًا، فتأخذ المجرات في الاندفاع إلى مركز الكون بسرعات متزايدة، لامّة ما بينها من مختلف صور المادّة والطاقّة، فيبدأ الكون في الانكماش والتكدس على ذاته.... وتتجمع كل صور المادة والطاقة المنتشرة في أرجاء الكون، حتى تتكدس في نقطة متناهية من الضآلة، تكاد تصل إلى الصفر أو العدم.... أي يعود الكون إلى حالته الأولى " مرحلة الرتق "، ويسمى هذا النموذج باسم نموذج " الكون المنغلق، " وتسمى عملية تجمع الكون باسم: " نظرية الانسحاق الشديد "، ونحن المسلمين نؤمن بتلك العمليّة، لقول الحق في محكم كتابه: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } (سورة الأنبياء: 104) [1].

فهذه آيات كريمة تبين وجوهًا للإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وانظر كيف كان التعامل مع هذه الآيات الكريمة، أنها دعمت نظرية " الانسحاق الشديد " مع ورود نظريتين متناقضتين، إلا أن هذه النظرية أكثر النظريات قبولًا اليوم، وتكون هذه النظرية دعمتها آيات القرآن الكريم، وأيدتها لتصبح بذلك حقيقة.

وفي ذلك يقول الدكتور زغلول راغب النجّار: (هذه الشواهد وغيرها، دعمت نظرية الانفجار الكوني العظيم، وجعلتها أكثر النظريات المفسرة لنشأة الكون قبولًا في الأوساط العلميّة اليوم، ونحن المسلمين نرقى بهذه النظرية إلى مقام الحقيقة، لورود ما يدعمها من كتاب الله، الذي أنزل قبل ألف وأربعمائة من السنين) [2].

ثم إن آيات الإعجاز العلمي، هي حكم النظريات، وشاهد لها وعليها، ولا نعتبر النظريات شاهدًا لكتاب الله وآياته والبينات، ولا حكمًا عليها فما أيدته آيات القرآن فهو حقيقة، وما جاء مخالفًا لآيات القرآن الكريم فهو باطل، لم يستطع البشر بعلمهم أن يتوصلوا إلى حقيقته بعد، وسيصلون إلى الحقيقة متى شاء الله.

[1] النجار، السماء في القرآن الكريم، ص191.
[2] النجار، السماء في القرآن الكريم، ص186.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

ثم لا نركض بالآيات القرآنية وراء كل صوت يصيح باكتشاف نظرية، وننزل الآيات على هذه النظرية، لأن النظريات ما هي إلا أقوال بشر، قابلة للنقض والتغيير، فحتى لا يكون كتاب الله عرضة للطعن، فلا بد من اتباع الأسس التي ذكرها وبينها العلماء، للتعامل مع آيات الإعجاز العلمي، وقد ورد بعضها في المبحث الثالث.

الخاتمة:

يقول الدكتور عمر نوافله: (خلق الله الإنسان؛ ليكون خليفة في الأرض محققًا العبودية لله، وخصه من بين الموجودات في الكون بالرفعة والتكريم، ودعاه إلى التفكر في هذا الكون، والغوص في أعماقه مكتشفًا، يكتشف مكنوناته ويستثمر طاقاته، بعد أن يتفكر في أسراره، ويعمل بما يعود بالنفع مما اكتشف فيه، بل وأرشده كيف يتعامل مع هذا الكون الواسع، ففتح مجالًا واسعًا للعقل في تدبر آياته، فأصبح الكون بذلك وكأنه خلق من أجل الإنسان) [1].

وقد جاءت آيات القرآن الكريم لتؤطر إطارًا واضحًا لعلاقة الإنسان بالكون، وبالتفكر في الآيات الكونية، فدعت الآيات المقروءة إلى التفكر في الآيات الملحوظة، قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ } (سورة أل عمران: 190).

وكم من الآيات الكونية التي تم اكتشافها بعد التفكر في الآيات القرآنية، لتكون نبراس هداية، وسببًا لإيمان من اكتشف هذه الآيات، إذ لا يملك من يرى بعينه بعد أن يتفكر بعقله، إلا أن يشهد أن هذا القرآن ما هو إلا من عند الله { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيراً } (سورة النساء: 82).

المراجع

1. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1990م.
2. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2001م.
3. البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم، صحيح البخاري، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2004م.
4. البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم، صحيح البخاري، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2004م.
5. الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، مستدرك الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1998م.
6. حجازي، د. محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل، بيروت، ط10، 1993م.
7. حسب النبي، د. منصور محمد، القرآن الكريم والعلم الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1999م.
8. حميدة، د. عبدالحسيب طه، مع القرآن في آدابه ومعاملاته، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1975.
9. الخالدي، صلاح عبدالفتاح، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفرقان، عمان، ط1، 1993م.
10. الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
11. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، دار المنار، عمّان، ط1، 2000م.
12. الزرقاني، الشيخ محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة، ط3، 2001م.

[1] نوافله، الانسان وعلاقته في الكون في القرآن الكريم، ص307.

ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

13. الزرقاوي، محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار قتيبة، دمشق، ط1، 1998م.
14. الزركشـــي، الإمام بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1995م.
15. الزيات، أحمد حسن وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول، ط1، 1995م.
16. الســيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م.
17. شحاته، د. عبدالله، تفسير الآيات الكونية، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، 1980م.
18. الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1994م.
19. شيخ أمين، د. بكري، التعبير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت، ط3، 1979م.
20. الطائي، د. محمد باسل، خلق الكون بين العلم والإيمان، دار النفائس، بيروت، ط1، 1998م.
21. العلي، محمد سامي محمد، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار المحبة، دمشق، ط1، 1993م.
22. القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1995م.
23. قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط8، 1983م.
24. قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط8، 1983م.
25. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط22، 1994م.
26. متولي، د. أحمد مصـــطفى، إعجاز القرآن الكريم والســـنة النبوية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2005م.
27. المطعني، د. عبدالعظيم ابراهيم محمد، خصـــائص التعبير القرآني وســـماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1992م.
28. نجار، د. زغلول راغب، السماء في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2004م.
29. نوافله، الدكتور عمر، الانســـان وعلاقته بالكون في القرآن الكريم، المكتبة الوطنية، عمان، ط1، 2018م.

\